

المجاز

(تابع لما في الجزء الثالث)

واما المجاز المرسل فهو ما عبّر فيه عن الشيء بلفظ ملائمه وسمي
بالمرسل اي المطلق خلوّه عن قيد التشبيه الذي هو شرط الاستعارة ولذلك
عرفوه بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة غير المشابهة . وقد
انها انواع العلاقة المعتبرة في المجاز المرسل الى خمسة وعشرين نوعاً نذكر
هنا اشهرها واكثرها دورانا في الكلام . فمنها تسمية الشيء باسم جزئه
كقولهم سافر ولا ظهر له أي لا دابة له يركب ظهرها وعنده كذا رأساً
من الغنم وهو الواحد منها وهو يملك كذا رقبة أي عبداً وتسميتهم
السيوف بالظبي وهي جمع ظبّة ومعناها جدّ السيف وإطلاقهم العوالي على
الرماح وهي جمع عالية والمراد بها صدر الرمح وقيل هي نحو ثلثه مما يلي
السناب . ومثل ذلك تسميتهم البيت من الشعر بالقافية وتسميتهم الخطبة
بالكلمة والكلمة بالحرف الى غير ذلك . ومنها تسمية الجزء باسم الكل
كقولك ضربته فشجة أي شجّ رأسه لأن الشجّ خاصّ بالرأس وقطع
الأمير اللصّ أي قطع يده وقولك وكف البيت وانما تريد السقف لأن
الوكيف لا يكون إلا منه ورجلّ الحلّ العينين أي الاجفان وهو ان تكون
سوداء خلقةً وأشهل العينين أي الحدقتين وهو ان يكون سوادهما مشوباً
بجمرة . وكذا قولك رجلّ الحلّ واشهل ومثله رجلّ أقيم واصلع واقطع
واعرج يُطلق الوصف في ذلك كله على الشخص والمراد به العضو الذي
يختص ذلك الوصف به وهو كثير في الاستعمال . ومنها تسمية الشيء باسم

محله كقولك حكم المجلس بكذا أي رجال المجلس وقولك شربت الكأس أي شربت السائل الذي فيها وقرأت الصحيفة أي قرأت ما فيها من الكتابة ومثل ذلك قولك زخر الوادي وفاض الاناء ورشحت المزادة وهذه بئر عذبة وسوق رابحة وقولهم حنت إليه ضلوعه وملأت الهموم صدره وما جرى هذا المجرى * وقد اضطرب كلام البيانين في هذا النوع فانهم تارة يعدونه من المجاز المرسل ويمثلون عليه بقوله فليدع ناديه وتارة يعدونه من المجاز العقلي ويمثلون عليه بقولهم نهر جار ولا يظهر بينهما فرق . ولعل الوجه فيما كان كذلك أنه ان كان المحل خاصاً بالحال فيه او مما يغلب ان يكون محلاً له كما في سال النهر كان اطلاقه عليه مجازاً مرسلًا وان كان وجوده فيه عارضاً كما في قولنا سالت البيداء اذا كثر فيها ماء المطر فهو مجاز عقلي . وجهه ان بين النهر والماء تلازماً في الذهن لأنه لا يقال الا لما يجري الماء فيه فيكون الماء داخلاً في مفهوم النهر فاذا صرف المعنى إليه كان مجازاً مرسلًا لأنه يكون من قبيل المجازي المفرد وكان الاسناد اليه اسناداً حقيقياً . وبخلاف ذلك البيداء فانه لا دخل للماء في مفهومها لانها لم تهتد قط محلاً له فاذا اسند اليها ما يُسند الى الماء كان المجاز في الاسناد دونها وبقي لفظها على حقيقته . وعلى ذلك يتمشى ظرف الزمان ايضاً فيكون نحو صبيحة باردة وظهيرة غراء أي شديدة الحر من قبيل المجاز المرسل ونحو يوم صائم وليلة ساهرة من قبيل المجاز العقلي والله اعلم . ومن ذلك تسمية الشيء باسم الحال فيه وهو عكس ما تقدم كقولك نزلت بالقوم أي بدارهم وبزلت الخمر أي تقبت اناؤها وأجذب القوم أي اجذبت ارضهم ومثله مطر القوم وقولك

سقى الله فلاناً وما أشبه ذلك وهو قليل . ومنه تسمية الشيء باسم آتته نحو هو صادق اللسان أي الكلام وصادق العين أي النظر وفرسٌ سريع القوائم أي الجري وفلانٌ في هذا الامر يدُّ وله إليه قدم وكتبت بالقلم الريحاني وفلانٌ قلمٌ بليغٌ الى غير ذلك . ومنه اطلاق العام على الخاص كتسميتهم القيد بالادهم والزنجي بالاسود والرح بالاسمر فانها صفات عامة جعلت اسماً لهذه الاشياء . ومن هذا تخصيصهم اللوح لما يكتب عليه واليراع وهو القصب للاقلام والأسل وهو ضربٌ من النبات للرماح والحبل للرسن والشاة للغنم وهي في الاصل تشمل المعز والظباء والبقر والنعام وغير ذلك . واما عكس هذا اي اطلاق الخاص على العام كاستعمالهم الرائد لكل طالب حاجة ونقلهم الحوة من الوان الخيل الى كل ما كان اسود وقولهم رُضاب المزن ورُضاب النحل الى غير ذلك فالصحيح ان هذا كله على التشبيه فهو من قبيل الاستعارة . ومثله استعمال الخاص في الخاص كاطلاقهم الجفن على غمد السيف والحاجب على حرف الشمس والحجل وهو الخللخال على البياض في قوائم الدابة وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق وفم المزايدة وغير ذلك مما تقدم ذكره في محله .

وقد رأيت ان أكثر هذه الوجوه يرجع في الغالب الى التفنن في اساليب التعبير والتوسع في استعمال اللغة وبعبارة أخرى يقصد منه التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة على ما يذكره البيانون في تعريف هذا الفن وعلى ما سبقت الإشارة الى مثله في بحث الاستعارة . ولذلك لا يكاد شيء منه ينطبق على غرضنا في هذا الموضوع ما خلا النوع الأخير منه وهو

اطلاق العام على الخاص فانه كثيراً ما يُستغنى به عن الوضع المخصوص فيما لم يوضع له لفظ . وذلك كما يقال نخل الشيء اي صفاه واختلاره ثم قيل نخل النقيق اذا ساقطه من خصائص النخل ليغزل نخالته عن لبابه . وكقولهم الم الامر اذا قرب ثم قالوا غلامٌ ملّم اذا قرب البلوغ وشجرة ملّمة اذا قاربت ان تثمر . وقولهم دفن الشيء اذا ستره وواراه ثم خُصَّ بدفن الميت . وقولهم حجّ فلاناً اذا قصده ثم خُصَّ بقصد المعاهد المقدسة . ومن ذلك الوعى اصل معناه الصوت والجلبة ثم خُصَّ بالاصوات في الحرب ومثله الوعى بالعين المهملة . والقَصَب وهو كل نبت ذي أنابيب ثم خُصَّ بهذا النبت المعروف . والحِضن وهو جانب كل شيء وناحيته ثم خُصَّ بالانسان وهو ما دون الابط الى الكشح . ومثله العطف بالكسر وهو الجانب من كل شيء ثم خُصَّ باحد جانبي الانسان من لذن رأسه الى وركه . ومثقال الشيء وهو مقدار ما يوازنه يقال ما عند فلان مثقال ذرة ذهباً ثم خُصَّ المثقال بمقدار معلوم وهو درهم وثلاثة اسباع الدرهم . وقس على كل ذلك ما اشبهه وهو في اللغة أكثر من ان يُحصى (ستأتي البقية)

الكفرة

هم جيلٌ من سكان جنوبي افريقيا يُعرفون بهذا الاسم قيل سماهم به المسلمون من العرب عند ما دخلوا بلادهم بقصد دعوتهم الى الاسلام . وهم قبائل منتشرة على شاطئ البحر الهندي من بلاد موزمبيق شرقاً الى بلاد الرأس غرباً على مسافة تقرب من ٦٠٠ ميل طولاً في ٢٥٠ عرضاً . وبلادهم